المحاضرة :اضطراب الهوية الجنسية

تمهيد:

الجنس هو سلوك يؤدي إلى التكاثر فهو وظيفة أساسية عند كل كائن حي (حيوان، إنسان) و هو وظيفة لا غنى عنها مثل التنفس، فالجنس هو رئة الكون التي تجدد من خلالها الكائنات الحية و تحافظ على بقاء النسل فهي غريزة من غرائز البقاء كما وصفها فرويد، ومن هنا يظهر شقين أساسيين للجنس هما الجانب العاطفي و الجانب الشهوي.

تعتبر الاسرة المكان الطبيعي لنمو الطفل جسميا ونفسيا واجتماعيا ومعرفيا واشباع حاجياته الاساسية وتكوين شخصيته وان اي اضطراب في العلاقة بين الطفل ووالديه او في البيئة الاسرية لسيما في هذه المرحلة سيؤثر على بقيه المراحل الاخرى بما فيها المرحلة التي تليها وهي مرحلة المراهقة فالوالدين بصفه عامه والاب بصفة خاصة له دور في امداد الطفل بالمعلومات الاولى عن الجنس الاخر اذ يعد ضروريا للنمو السوي وخاصة في جانب العلاقات الانسانية كما يلعب الاب دورا هاما في تكوين الانا الاعلى او ضمير الطفل بناء على درجه استدماجه لشخصيه الاب وتوحده به فالطفل يسعى جاهدا ليجعل نفسه شبيها بوالده ومن ثم يصبح الاقتداء بسلوك الاب شعوريا او لا شعوريا له اهمية للطفل على التكيف مع المجتمع والتوافق مع الواقع الاجتماعي الذي يتمثل في شخصية الاب وهكذا فان وجود الصورة الابوية القوية ضرورة للنمو الاجتماعي السوي للطفل ولا يمكن لهذه الصورة ان تعوضها اي مجهودات اضافية تعويضية من جانب الام كما يؤدي غياب الاب الى تدمير النمط الجنسي او الهوية الجنسية للأطفال الذكور وخاصة اذا حدث الانفصال قبل سن الخامسة حيث نجد ان الاولاد يكونون اقل عدوانية واكثر اعتمادية كما انهم اكثر امتلاكا لمفاهيم الذات الانثويه ويبدون انماطا من اللعب والتفاعل الاجتماعي اكثر انثوية.

كما يتكون النشاط الجنسي عند الانسان من جزئين هما المداعبة التي تسبق النشاط الجنسي ثم عملية الجماع ، ومن هنا فكل شيء لا يقود إلى الجماع الطبيعي سوف نعتبره شذوذا أو إنحرافا عن النمط السوي ،و هذا ما فسره فرويد لما تكلم عن النزوات الجزئية و هي الخاصة بعضو معين

(الفم ، الشرج، القضيب) فأي مبالغة لنزوة جزئية على النزوة الجنسية في المراحل التناسلية يعتبر شذوذا.

الإنحرافات الجنسية:

هي عبارة عن سلوكيات غير طبيعية في الممارسات الجنسية وممكن أن تتمتد من سلوك شبه طبيعي الى سلوك مدمر أو مؤذ للشخص، و قد يتطور ليصبح سلوك مدمر للمجتمع ككل فالمشكلات و الإضطرابات الجنسية و المذكورة في الدليل الإحصائي الإكلينيكي تعتبر أن الدوافع الملحة التي تؤدي إلى الإضطرابات مثل :الفيتيشية ،السادية، عشق الأطفال،الإستعراء و هي لها أهمية إكلينيكية أو أن الشخص يستجيب لهذه الدوافع الملحة، أو أنها تسبب إزعاج وضيق وتوتر شديد أو تؤدي إلى صعوبات في العلاقات بين الأشخاص.

كما أن باقي الإنحرافات الجنسية مثل : التلبس ، المازوشية ، أو تلك الغير محددة في مكان آخر مثل عشق الحيوانات فانها لها أهمية إكلينيكية و انها تتسبب في اضطراب في الوظائف الاجتماعية و لو ان هذه الدوافع ترجمت و تحولت الى سلوك ، فالهدف الرئيسي لسلوك الانسان الجنسي هو أن يساهم في عمل روابط أو يخلق لذة متبادلة ، بالتعاون مع شخص للتعبير عن الحب بين فردين ، فالإنحرافات الجنسية تختلف عن ذلك في أنها تشمل عنف وجود ضحية أحادية متطرفة ،هذه السلوكيات تؤذي الآخرين وتعرقل الإرتباط بين الأشخاص.

فتنظيم الجنسية يمر بمراحل تدرجية قبل أن تأخذ أشكالها النهائية، سواء العادية السوية أو غير العادية فحسب التحليل النفسي تنظيم الجنسية يكون بطريقة تدريجية ففي البداية تكون للطفل اشباعات ليبيدية جزئية تكون منبع لذة ، و تكون أو تطور قبل أن يأخذ به التطور اللبيدي إلى الأفضلية التناسلية و الإختيار التناسلي للعلاقات مع الجنس الأخر المعاكس .

فمثلا : النزوات الجنسية المثلية موجودة عند كل إنسان و هناك نزوات جزئية تبقى بعد المراهقة لتخدم النزوات الجنسية للمرحلة التناسلية و هذا طبيعي عند كل إنسان.

فاضطرابات المنظومة الجنسية متنوعة و قد يتعلق الأمر بتدعيم مبالغ فيه لنزوة جزئية أو بتثبيت في مسار النمو أو بنكوص إلى مرحلة سابقة ،و الشذوذ بوصفة نزوة جزئية يوجد طبيعيا عند الإنسان و بدرجة أكثر عند الطفل أي في المراحل الأولى للنمو، و الذي حسب ما قاله (فرويد) هو " شاذ متعدد الأشكال" و هو لا يصبح في طابع مرضي إلا إذا دعم على حساب باقي النزوات من بين هذه السلوكات

تعريف مصطلح الهوية:

حسب اريكسون ان لفظ الهويه احساس ذاتي ومنشط لوحدة شخصية واستمراريه زمنية.

تعرفها Massonat الهوية بمجموعة من الاسئلة حول الذات

من انا؟ الذي يحدث على انتاج معارف التي يكسبها الفرد عن نفسه

من اين اتيت ؟يخص الاصول والنسل والاجداد وتاريخ التطور الخاص

في اي اتجاه اذهب؟ اي ما هو المعنى الذي اقدمه لحياتي وباي مشاريع

كيف اتكفل بمسيرة حياتي؟ تكون في تداخل مع التاريخ الاجتماعي وايضا تاريخ الاشخاص الاقرب مني

يعود الفضل للعالم اريكسون في ابراز اهمية هذا المفهوم الذي يحتل مكانة مركزية في فكره وهي مماثله لمفهوم الجنسية عند فريد عند فرويد من خلال اعطائها مكانة في مراحل نمو الانسان ومن خلال محاولته الاستناد الى نظرية فرويد في النمو قائلا ان النمو هو محصلة تفاعل بين الانا والمحيط الخارجي في كل مرحلة من مراحل النمو النفس الجنسي وذلك من خلال النماذج التقمصية المقترحة

فجذور الهوية حسب اريكسون تمتد الى الطفولة المبكرة فهي تطور في مسار حياة الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه فالهوية اذا "هي نسق من الاحاسيس والتصورات حول الذات اي مجموعة من المميزات الجسمية والنفسية والاخلاقية والاجتماعية والثقافية التي من خلالها يستطيع شخص ما ان يعرف نفسه ويقدمها ويتعرف عليها ويعرف بها "

كما عرفها Taboada-Leonetti "باعتبارها مجموعة مبنيه للعناصر الهوية التي تسمح للفرد بتعريف نفسه في حاله تفاعل والتصرف كممثل اجتماعي" ومنه فالهوية تتطور عند الطفل من خلال التقمص الذي يعتبر من الميكانيزمات القاعدية في ديناميكية الهوية تقمص الصورة الابوية الاخوة الاخوات الاصدقاء النماذج العائلية الى اخره .

مفهوم الهوية الجنسية:

ان الحديث عن الهوية الجنسية يجعلنا نقف امام ثلاث تسميات مختلفة وتستعمل ثلاثتها للدلالة على الهوية الجنسية في مفهومها العام او للدلالة عن جانب من جوانبها المكونة لها وترجع كل تسميه الى حقل دراسي قد يختلف احدها عن الاخر

1-الجنس البيولوجي: يتعلق بالجانب التشريحي البيولوجي وبالفروق التشريحية بين الجنسين فروق اساسيه وفروق ثانويه .

2-هويه الجندر: استعمل مفهوم الجندر لأول مره سنه 1950 للتمييز بين مجموعه من الاحاسيس والسلوك التي تجعل الفرد ينتمي الى الجنس المذكر او الجنس المؤنث وبين جنسه التشريحي الذي تحدده الهرمونات والاعضاء التناسلية ويفهم الجندر على انه الادوار والعلاقات والاتجاهات والسلوك والقيم التي يلحقها المجتمع بالأفراد من جنس مذكر او جنس مؤنث لهذا يعتبر الجندر من المحددات القاعدية للهوية الجنسية اذ ان هناك اتفاق واجماع بين الباحثين حول ارتباط الهوية الجنسية بالجنس التشريحي عند الغالبية العظمى للأفراد لكن يشيرون ايضا ان الوضع يحيد المألوف عند بعض الافراد الذين يظهرون شعورا باختلاف هويتهم الجنسية عن جنسهم التشريحي يؤدي هذا الغموض الى الكثير من المشاكل والاضطرابات عند هؤلاء الافراد وعند عائلاتهم واصدقائهم.

3-الهويه الجنسية : تعرف الهوية الجنسية كمحصله لثلاثة ابعاد يتعلق البعد الاول باعتقاد وايمان الفرد بكونه ولدا او بنتا ويتعلق البعد الثاني بتبني الفرد للأدوار الاجتماعية التي تلحق بالبنات او الاولاد بالنساء او الرجال اما البعد الثالث فيتعلق باختيار الشريك الجنسي الذكري او الانثوي ويرتبط هذا البعد بالبعدين السابقين ويتوقف عليهما اذا فهي ترتبط باحساس الفرد انه امراه او انه رجلا او التموقع بين الوضعين او عدم الانتماء لاي منهما

تتفق الهوية الجنسية مع الهوية التشريحية عند غالبيه الافراد لكن الامر يبدو مختلفا عند بعضهم الذين ينمو لديهم الاحساس بعدم تماشي هويتهم الجنسية مع هويتهم التشريحية ويدخلون على اثر ذلك في صراعات مع نظرات المحيط منهم .

العوامل المؤثرة في بناء الهوية الجنسية:

تتكون هويه الجندر بشكل مبكر بالرجوع الى المعايير المرتبطة بالجندر وكذلك المرتبطة بالجسم وتظهر هذه المعايير في الخطاب الذي يتبناها المحيط الاجتماعي والسياسي والعلم والذي يستند الى الاختلافات التشريحية بين الذكور والاناث حيث يبدا هذا التمايز في الطفولة الاولى من خلال ملاحظه جسم الاخر ويبدا الطفل في المشاركة في الجندر الذكري او الجندر الانثوي وتعتبر السنوات الاولى من الحياه ذات اهميه بالغه في بلورة وتأكيد الهوية الذكرية او الهوية الانثوية وتتدخل العديد من العوامل من اجل ضمان هذه البلورة وهذا التأكيد.

العوامل التشريحية:

تعتبر العوامل التشريحية من العوامل القاعدية في بناء الهوية الجنسية اذ تمثل الارضية التي على اساسها يتم اقتراح الادوار الاجتماعية المتعلقة بالجنس وتبني هذه الادوار تدل على درجه اندماج الفرد في محيطه التي تحدد بدورها مدى تقبل المحيط له وترجع جذور الهوية الجنسية الى اللحظة الاولى من تلقيح البويضة التي يتحدد على اثرها نوع جنس الجنين وتنتج عنها الفروق الجنسية التشريحية الاولية بداية ثم الفروق الثانوية لاحقا .

العوامل الاجتماعية:

تمثل الهوية الجنسية درجه الامتثال التي يظهرها الافراد الى مختلف فئات الادوار الجنسية المتعلقة بجنسهم البيولوجي بمعنى انه يتم تحديد ادوار اجتماعيه تمثل نماذج خاصه بالذكورة وبالانوثة وعاده ما ترتبط هذه النماذج للقيم الاجتماعية والثقافية الخاصة بكل مجتمع اي انها تخضع لمتطلبات الاجتماعية والثقافية وعلى اثر هذا يبدو من الطبيعي تسجيل الفروق والاختلافات بين هذه النماذج باختلاف المجتمعات وتفرض هذه النماذج مجموعه من السلوكيات والادوار ترتبط بالجنس البيولوجي ويتم تربيه الاطفال ذكورا واناثا على تبني هذه النماذج فيتعلم الطفل منذ ولادته كيفيه السلوك والتصرف وفقا لجنسه البيولوجي ويعمل على ادماجه في نوعه ابتداء من اللباس مرورا الى اللعب فطريقه المعلمة وهكذا .

العوامل النفسية:

لكي نتمكن من حصر اهم العوامل النفسية في تكوين الهوية الجنسية من منظور نفسي لابد من العودة الى نظريه التحليل النفسي لفرويد ودور الاديب حيث يرى ان التجنس النفسي يستند الى سيرورة التقمص واكتشاف الفروق التشريحية بين الجنسين تحت صداره القضيب بمعنى اخر امتلاك او عدم امتلاك القضيب في المرحلة القضيبية يؤكد فريد ان اكتشاف الفروق التشريحية بين الجنسين يحدث بين ثلاثة الى اربع سنوات بينما تشير الدراسات الحديثة ان الامر يتم في وقت مبكر جدا اي بين 15 و 18 شهرا وتشير الى الأهمية البالغة التي تكتسيها مرحله ما قبل الاوديب للمال الجنسي للطفل.

تشخيص اضطراب الهوية الجنسية حسب DSM 5:

نتكلم عن وجود اضطراب في الهوية الجنسية عند وجود تضارب بين الجنس البيولوجي والجنس النفسي اي بين الهوية الجنسية والهوية المجنسة فيظهر على الطفل رفض واضح لانتمائه الجنسي ورفض الاندماج في الانشطة الاجتماعية المتعلقة بجنسه البيولوجي ويظهر ميلا اكبر للأدوار والأنشطة

الاجتماعية المتعلقة بالجنس المعاكس ويترافق هذا الرفض بشعور عميق بانتمائه الى الجنس المغاير فلا يشعر الذكر انه ذكرا ولا الانثى انها انثى وعاده ما يترافق هذا الشعور وهذا الرفض بمعاش مؤلم ناتج عن هذا التناقض وعن نظره الاخرين وعدم تقبلهم للوضع .

وحسب الدليل التشخيصي للاضطرابات النفسية الطبعة الخامسة يقتضي توفر مجموعه من المعايير لتشخيص اضطراب الهوية الجنسية

A-تناقض ملحوظ بين الجندر المعبر عن المختبر والجندر المفترض لمده سته اشهر على الاقل وذلك كما يتجلى بسته على الاقل مما يلي :

1-رغبه قويه في ان يكون من الجندر الاخر او الاصرار على ان الفرد هو من الجنس الاخر (او بعض التبدل في الجنس المختلف عن الجنس المعين)

2- في الأولاد(الجندر المعين) تفضيل قوي لارتداء الملابس المتقاطعة مع ملابس الاناث او عبر محاكاه الملابس الأنثوية ،او في الفتيات(الجندر المعين) تفضيل قوي لارتداء الملابس الذكورية فقط ومقاومه قويه لارتداء الملابس الأنثوية التقليدية.

3- وجود تفضيل قوي للأدوار المشتركة من الجندر في اللعب المشترك او اللعب الخيالي .

4-تفضيل قوي لألعاب او انشطه نمطيه تستخدم او تمارس من قبل الجندر الاخر.

5- وجود تفضيل قوي لرفاق من الجندر الاخر.

6- في الاولاد (الجندر المعين) رفض قوي لألعاب او انشطه نمطيه مذكره وتجنب شديد للعب الخشن والمتقلب، او في الفتيات(الجندر المعين) رفض للألعاب او الأنشطة النمطية المؤنثة

7-كره شديد للتشريح الجنسي للفرد

8-رغبه قويه للخصائص الجنسية الأولية او الثانوية التي تطابق التي تطابق الجندر المختبر.

B- يترافق الاضطراب مع تدني او احباط ملحوظين في مجالات الاداء الاجتماعية والمدرسة او مجالات الاداء المهمة الاخرى .

تحديد ما اذا كان :مع اضطراب للنمو الجنسي (على سبيل المثال :اضطراب الكظرية التناسلية الخلقي تضخم الغده الكظرية او متلازمه فقد الحساسية للأندروجين)

يتظاهر الاضطراب عند المراهق والبالغ بأعراض كالانشغال للتخلص من الخصائص الجنسية الأولية والثانوية مثل التماس الهرمونات او الجراحة او اجراءات اخرى لتبديل الخصائص الجنسية ماديا من اجل المحاكاة الجنس الاخر او الاعتقاد بانه قد ولد ضمن الجنس الخطأ.

هذا العنصر الأخير للتعرف فقط على اضطراب التلبس لمعرفة الاختلاف و الفرق بينه و بين اضطراب الهوية الجنسية

- التلبس: Travestisement:

(التلبس:يريد أن يكون يشبه المرأة لكنه لا يريد أن يكون إمرأة)

يتمثل التلبس في اللذة التي يشعر بها بعض الناس حين يلبسون ألبسة الجنس المعاكس عند الراشد يندرج الاخر أو ملابس الراشد يعتبر طبيعي و هذا التلبس يطرح مشكلة عند الطفل عندما يكون تغيير الملابس أصبح حاجة عادة أو حين يرفض الطفل ارتداء لباس جنسه .

لا تتحقق الاثارة و لا يحقق الشهوة النهائية إلا بارتداء ملابس الجنس المغاير، و هنا استبدال الانسان بالجماد و هنا مثلا الرجل أسقط المرأة و أحل محلها ملابسها انه يتهرب أيضا من المراة ذاتها ، ولا يقدر على اقامة علاقة معها في غالبية الحالات و يكتفي بارتداء ملابسها و هي ملاصقة لجسده و ينظر الى نفسه في المرآة ،و يستثار ثم يحقق الشهوة النهائية بشكل تلقائي أو عن طريق ممارسة العادة السرية.

و ارتداء ملابس الجنس الآخر لا يعني رغبة في أن يغير جنسه لأن هويته الجنسية الذكرية سليمة فهو قد يفضل كما أسلفنا الذكر إمراة لكن تمتلك قضيب.

حسب آن فرويد : التلبس يمكن أن يكون له معاني عديدة :

- عند الذكر ارتداء ملابس أنثوية يمثل البحث عن حب الأم من خلال حب أخت مفضلة .
- عند آخرين هذه الظاهرة تسمح بإنكار الرجولة القضيبية التي يتخيل الطفل (سواء عن حقيقة أو خيال بصورة هوامية) .
- يمكن أيضا أن يحافظ التلبس على الارتباط اللبيدي الداخلي الإرتباط بموضوع حب مفقود بواسطة تقمص جزئي لهذا الموضوع (وهذا النوع من السلوك حين يظهر عند الذكر يوحي بخلل كبير) .
- عدة مؤلفين أسرو على الأهمية الواجب اعطاؤها لدور المحيط : و بالفعل فإن الأم عادة هي التي تمارس ضغط معين اتجاه الأنوثة تأثير الأم يظهر مبكرا و لكن ليس بصفة سريعة و مباشرة فهو يظهر حين يبدأ الطفل الذكر بإظهار ذكورته حوالي عامين أو 3 سنوات فالأمهات اللواتي يلعبن

دور في ظهور التلبس يكون لديهن مكونات جنسية مثلية مع كره لا شعوري اتجاه الرجال و غيرة قوية من القضيب .

- المتلبس له مكونات أنثوية معتبرة و رغبته تذهب حتى أن تكون رغبة في أن يكون امرأة و لكن امرأة لها قضيب و الهوية الجنسية تبقى سليمة .
- التلبس الطفولي يتطور نحو هجر التصنع (الأنثوي) و لباس الجنس المعاكس و امكانية جنسية عادية فيما بعد، لكن يمكن أن يظهر فيما بعد تكيف سيء هناك تطور نحو الجنسية المثلية .